المقدمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه حمداً طيباً مباركاً ملؤه وملء ما يشاء من شيء والصّلاة والسَّلام علىٰ سيدنا محمَّد رحمة للعالمين وخاتم النبيين والمرسلين، وعلىٰ آله وصحبه والداعين بدعوته إلىٰ يوم الدين. أما بعد:

لقد كرم الله عزَّ وجلّ آدم وذريته بالعقل حيث إنهم مطلقاً مخيرون في مسيرتهم وبين لهم طرق الهداية والضلال وبعث لهم الرسل عليهم السَّلام، وختمهم بسيدنا محمَّد ﷺ حيث إنه بعثه هادياً ومبشراً ونذيراً، لإصلاح بني آدم وهدايتهم إلىٰ الطريق المستقيم في حياتهم الدينية والدنيوية، وجعله بالناس رؤوفاً رحيماً، وجعله أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم وجعل أزواجه أمهاتهم.

لقد اهتم الإسلام بالمرأة اهتماماً كبيراً، لأنها هي نصف المجتمع وبها يقوم المجتمع، فهي الأم والأخت والبنت والزوجة، والمرأة المسلمة التي يريدها الإسلام هي المتعلمة المثقفة التي تتلقىٰ العلم النافع وتنشره بين مثيلاتها، وبين أفراد أسرتها، والمرأة المؤمنة المتعلمة هي التي تجلب الخير للمجتمع، حيث إنها تخرّج أجيالاً صالحة لمجتمعها، والمرأة المسلمة تحتاج أن تعبد الله عزَّ وجلّ علىٰ نور وعلم، فهي شخص مكلّف كالرجل، وهي محتاجة لمن يعلمها ويرشدها إلىٰ أحكام دينها، سواء من محارمها أو من أهل العلم في ضوء الضوابط الشرعية، وتفريط المرأة في تعلم أحكام دينها يسبب الضياع والهلاك، يقول الحافظ ابن الجوزي: «وما زلت أحرص النَّاس علىٰ العلم لأنه النور الذي يهتدي به، إلَّا أني رأيت النساء أحوج إلىٰ التنبيه من هذه الرفدة من الرجال، لبعدهن عن العلم، وغلبة الهوىٰ عليهن بالطبع، فإن الصبية في الغالب تنشأ في مخدعها لا تلقن القرآن، ولا تعرف الطهارة من الحيض، ولا تعرف أيضاً أركان الصّلاة، ولا تحدث قبل التزويج بحقوق الزوج، وربما رأت أمها تؤخر الغسل من الحيض إلىٰ حين غسل الثياب، وتدخل الحمام بغير مئزر، وتقول: ما معي إلَّا أختي وابنتي، وتأخذ من مال الزوج بغير إذنه وتسخره، تدعي جواز

ذلك لتعطفه عليها، وتصلي -مع القدرة علىٰ القيام- قاعدة، وتحتال في إفساد الحمل إذا حملت، إلىٰ غير ذلك من الآفات...»[1]. والسبب الأساس لاختياري هذا الموضوع هو أنني أحببت أن أتبع خطىٰ إمامنا وقدوتنا وحبيبنا رسول الله ﷺ فكلما كنت أقرأ في كتب السّيرة النّبوية الشّريفة أحمد الله كثيرا بأنني من أمة هذا الإنسان البشر الذي بخُلُقه العظيم وبصبره الجميل استطاع أن ينشر دعوته التي كُلِّف بها من الخالق العظيم، ولا أخفي بأنني كنت أتتبع معاناة سيدنا محمَّد ﷺ، حيث أن الله تعالىٰ كان يمده بعد كل محنة ومعاناة بحبه وعطائه، فبعد رجوعه من الطائف وقدميه الشريفتين تنزف دما أكرمه الله تعالىٰ ببعضٍ من معشر الجن الذين آمنوا بدعوته وذهبوا ليبلغوا الآخرين من قومهم، وأيضاً أكرمه الله تعالىٰ بالإسراء والمعراج، وبإمدادات كثيرة، فكنت أتلهف بأن أُحظىٰ إن شاء الله من مسيرة الصالحين الذين تبعوه بإخلاص وبإتباع خطواتهم المباركة، وقد يكون هذا سبب في اهتمام بهذا الموضوع، موضوع الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ وإلىٰ شريعته.

وأيضاً كان من الأسباب التي دعتني إلىٰ كتابة موضوع بعنوان: «المرأة ودورها في الدعوة الإسلامية وتربية الأسرة وأثرها في المجتمع تاريخياً وحاضراً ومستقبلاً»، لأهميته في الأسرة، والأسرة هي التي تربي وتكّون المجتمع، والمرأة استطاعت أن تقوم بدورها التربوي والأخلاقي من أجل التحصين من الإعلام الشاذ، والتحصين بهويتها الإسلامية.

وأيضاً كان مبعث اهتمامي بهذا الموضوع ما لاحظته في حياة المرأة المعاصرة من تناقضات ومبالغات، وإفراط وتفريط في جوانب مهمة في حياتها، كأن تجدها مهتمة في صحتها وصحة أبنائها ومهتمة في النظافة وترتيب البيت، مقصرة في حسن تبعّلها لزوجها، ومقصرة في عبادتها، أن تكون مهتمة بالعبادة ولكنها لا تمنع لسانها وسمعها عن الغيبة والنميمة في مجالس كثيرة، أو تجدها متدينة ومخلة في تعاملها مع أسرة زوجها أو جيرانها، أو مقصرة في حق والديها، أو تجدها محبة لزوجها وأولادها، وغير مشجعة لهم علىٰ البرّ والتقوىٰ والعمل الصالح، أو تجدها داعية إلىٰ الخير وغافلة عن تربية أولادها وتوجيههم

---

(١) انظر: أحكام النساء ابن الجوزي، ت:وليد أحمد عبد القادر، ط: دار قتيبة ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، ص٤.

وتكوين شخصياتهم ومراعاة نفسياتهم، فلقد رأيت داعيات مسلمات في الدعوة الإسلامية، ولكنّهنَّ يمضين وقتهن في المناسبات وزيارة الصديقات حتىٰ أنهنّ يغفلن عن أسرهن وأزواجهن ممّا أدىٰ إلىٰ عجز الأبناء عن الدراسة، وتدهور حالتهم الصحية بسبب الأكل غير الصحي، وأيضاً انحراف بعضهم أخلاقيا.

فالمرأة الصالحة هي: المنطلق للنمو البشري والحضاري والاجتماعي، وهي غالبا ما تكون منطلق الصلاح للبشرية كافة لأنها تخرّج أجيالا أمناء علىٰ أنفسهم وعلىٰ دينهم وأهليهم، فمنها تبدأ الخلية الاجتماعية الأولىٰ وهي الأسرة.

ولذا حاولت أن يكون تركيزي علىٰ المرأة، لأنها هي التي تحمل راية أسرتها وتمسك حركة مجتمعها وتبعد عنه الآثام وتعطيه الثمار السليمة. وإذا حالفني التوفيق في هذا الموضوع، فالفضل من الله عزَّ وجلّ، والشكر له علىٰ ما ألهمني للكتابة في هذا الموضوع، لأقوم بتجربة عملية مع أسرتي وأولادي بهذا البحث الذي أرجو من الله تعالىٰ، أن أشارك فيه بسد ثغره، لأن الكتابة عن المرأة تحتاج لمجلدات كثيرة، وذلك بالهجوم عليها بشتىٰ الوسائل لكي يجردوها من إنسانيتها وفطرتها وحجابها، لتصبح شبحا تصويرها ينتقل في عرض أزيائهم، وعرض مقتنياتهم، ثم ما إن يشيب هذا الشبح ويهرم، يلقون به في قارعة الطريق، ليتسول العطف والحنان من الأغراب، لا يملك أسرة تحنو عليه ولا حتىٰ أخوّة بالله، والإسلام أعطىٰ المرأة حقها في كافة جوانب الحياة، وحفظها وصان حقوقها، وأحكامه حفظت لها فطرتها وشخصيتها حتىٰ ولو عملت في خارج البيت ضمن إطار قيم الإسلام وإرشاداته، وضمن حدوده فلا تتعدىٰ حدود الله كي لا تهلك في مستنقعات الدنيا التي هي قد تكون عذابا لمن يتجاوز حدود الله لأنه قد يكون العذاب من جنس العمل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿... تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

- والمنهج الذي سلكته في دراسة بحثي هو المنهج الاستقرائي للنصوص النَّبويّة والآيات القرآنية، مبينة فيه المنهج الأمثل الذي ينبغي للمرأة الداعية إلىٰ الله، أن تأخذ به في دعوتها، وفي علاقتها مع زوجها وأسرتها، وعدم تأثير ذلك عليهم إلَّا إيجابياً، وعلاقتها مع من تدعوهم من أخواتهم المسلمات وغيرهن من النساء، وتأثير كل ذلك

علىٰ نفسها، وتعاملها الاجتماعي عامة، وغزارة هذه النصوص واستيعابها لكل صغيرة وكبيرة في حياة كل امرأة، بحيث أنني وجدت أن هذه النصوص الصحيحة والآيات الكريمة، أنها وضعت المعالم الهادية إلىٰ حياة طيبة قويمة، تضمن لمن يتبعها سعادة الدارين، وعز وكرامة في الدنيا ومثوبة ونجاح في الآخرة.

- ولقد استفدت من التاريخ الإسلامي فكنت أنظر من خلال قراءتي عن الداعيات السابقات الكثيرات ونضالهن الكبير في سبيل الدعوة الإسلامية فأشعر بالفخر والأمان... (من أمنا أم المؤمنين خديجة بنت خويلد زوج الرسول ﷺ وتضحياتها الكبيرة وصبرها وبذل مالها ونفسها في بداية الدعوة الإسلامية، ودعمها النفسي والمادي لرسول الله ﷺ، وبنات الرسول ﷺ مثال زينب - رضي الله عنها- ومعاناتها في هجرتها إلىٰ المدينة، للحاق بأبيها والفرار بدينها فكيف سقطت عن البعير وهي حامل وطرحت جنينها وفارقت زوجها وطفليها إلىٰ أن أضناها الحزن، ورقية بنت الرسول ﷺ وهجرتها إلىٰ الحبشة مع زوجها، وفاطمة الزهراء سيدة نساء الجنة، حيث أنها كانت تساند أباها في دعوته، وتتبعه ﷺ وهو يسعىٰ مبشرا بالدعوة الإسلامية، داعياً للدخول في دين الحق، وأم كلثوم التي هاجرت مع أختها فاطمة إلىٰ أبيها في المدينة، وتاريخ الصحابيات منهن أسماء بنت أبي بكر الصديق، وهي أخت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنهن- التي استطاعت أن تكتم سر الغار، وكانت تخرج بالليل تحمل الزاد والماء للرسول ﷺ وأبيها، وهاجرت وهي حامل بعبد الله بن زبير بعد الهجرة، فكان أول مولود في الإسلام، وكان لها مواقف مشرفة في المدينة وفي الغزوات، وروت عن رسول الله ﷺ بعض الأحاديث وروىٰ عنها ابن العباس وابناها عبد الله وعروة - رضي الله عنها-، وقد كانت ترىٰ ابنها الزبير وعمه يعلقه ويدخن عليه ليرجع إلىٰ الكفر، فلما كان يرىٰ من أمه الجلد والثبات وهي تراه معذبا يزداد ثباتا علىٰ دين الإسلام، وهو في أول فتوته)[1].

---

(١) انظر: الإصابة لابن حجر العسقلاني، ج٤، ص٧. وانظر: السيرة النبوية لابن هشام، ط٣، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، دار =

ولا تتسع المقدمة لذكر الكثير من النساء اللواتي قدمن للتاريخ مفخرة ونبراسا مضيئا لأخواتهن من بعدهن.

(والخنساء أم الشهداء، الشاعرة، عندما جمعت أولادها الفرسان الأربعة لتوجيههم وتحريضهم علىٰ القتال، وعدم الفرار، وذلك عندما توجه المثنىٰ بن حارثة الشيباني إلىٰ القادسية، وكان ذلك في عهد خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه-، وكانت الخنساء تحبب إلىٰ أولادها الاستشهاد في سبيل الله عزَّ وجلّ، فقالت لهم كلمات كلها إيمان وشجاعة لا تزال تذكر إلىٰ يومنا هذا... قالت:

- أيا بني إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين ووالله الذي لا إلـٰه إلَّا هو إنكم بنو امرأة واحدة، ما هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين، فأعدوا إلىٰ قتال عدوهم مستبصرين وبالله علىٰ أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظىٰ علىٰ سياقها، جللت نارا علىٰ أوراقها فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عن الخلد والمقامة... وأخذوا أولادها نصيحتها متوكلين علىٰ الله، فسارعوا إلىٰ مراكزهم مندفعين إلىٰ لقاء العدو بكل شجاعة وإيمان وحماس، ولما بلغ الخنساء خبر مقتل أبنائها الأربعة، ولم تجزع، ولم تندب، بل كانت مثالا للأم المؤمنة المجاهدة في سبيل الله ومثالا قائما ليومنا هذا... بل قالت كلمات مشهورة... بقي التاريخ يرددها وسيرددها إلىٰ ما شاء الله: «الحمد لله الذي شرفني

ابن كثير للنشر، دمشق، بيروت، تحقيق: مصطفىٰ السقا وآخرون، ص٢٢١. وانظر: نساء صنعن التاريخ في العهد النبوي، د. كريمة عبود، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، دار قتيبة للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا. وانظر: الطبقات الكبرىٰ لابن سعد، ت: محمَّد عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت الطبعة (٣) ١٩٩٠ ج٨، ص٢٠، مرآة الجنان لليافعي (المكتبة الشاملة)، وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، مؤسسة الرسالة، ج٢، ص١١٩.

باستشهادهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته...».

وبعد تسلم عثمان - رضي الله عنه- الخلافة رحلت الخنساء إلىٰ البادية، لتعيش كداعية للدين وتعلم وتهذب النَّاس من تعاليم الرسول الكريم ﷺ إلىٰ أن قُبضت روحها الطاهرة في عام ٢٤ للهجرة[1]... بعد أن كانت مثالا للمرأة المجاهدة المؤمنة الشاعرة الفصيحة الناصحة.

فكانت كل هذه الأسباب المؤثرة هي التي دفعت بي بإذن الله - عزَّ وجلّ- إلىٰ كتابة هذا البحث، لعلي من خلاله أرجو الله تعالىٰ بان يكتب لي به عملا صالحا يعم خيره عليَّ وعلىٰ أفراد أسرتي ومن حولي من المسلمات والمؤمنات.

وأنني لأرجو الله تعالىٰ بأن يكتب لي السير في طريق الدعوة الإسلامية، وبأن يكرمني بإصلاح نفسي وأسرتي، وببث بعض الخير للآخرين.

أهمية هذا البحث:

ا- التكريم السّامي الذي كرمه الإسلام للمرأة، والاهتمام بجميع شؤونها من حين ولادتها إلىٰ حين بلوغها مرتبة الجدة، وما بعد موتها جعل أعمال أولادها الصالحة تنهال عليها أجراً طيباً.

ب- والإسلام أعطاها حقوقها كاملة وساوىٰ بينها وبين الرَّجل في الإنسانية، وأوجب علىٰ الرَّجل نفقتها وكفايتها ومعاشرتها بالمعروف.

أهمية الدعوة إلىٰ الله والمكانة الرفيعة السامية للمرأة الداعية إلىٰ الله، وذلك مما يساعد في إصلاح المجتمع، حيث أن النّساء بحاجة إلىٰ تثقيف في أمور دينهن، والأمور التي تتسبب في انهيار الصرح الأسري والبعد عنها، فالكثير من النساء يتزوجن صغيرات في السن، حيث أنهن يجهلن معاملة الزوج وأهل الزوج، أو حتىٰ الإهمال في شؤون أبنائهن، فعندما تنشر الداعية المسلمة الخير في كل اتجاه وفي كل مكان، وعن الكيفية التي تنال بها

---

(١) انظر: الإصابة لابن حجر (٨/٦٦-٦٧). وانظر: نساء حول الرسول ﷺ، د. بسام حمامي، دار دانية، دمشق بيروت الطبعة (٥) ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ص٤٣٩-٤٤٩.

المرأة السعادة الدنيوية، والأخروية، وعن الحلال والحرام وتفقهن في أمور صلاتهن وأمور أزواجهن، وعن حقوق الأزواج وعن حقوق الأبناء، والبعد عن مجالس النميمة والغيبة والتزود بالأعمال الصالحة كيفما كان السبيل لها ميسرا، وفي أمور حجابهن وأمور الطهارة، وتعليمهن الصبر عن طريق سرد قصص الصحابيات والتابعات، والمعاصرات الرائدات من النساء المسلمات والمرأة هي تمثل نصف المجتمع وقد تمثله كله لأنها تقوم علىٰ تربية الأبناء، وهي سكن الرَّجل وأمانه، فإذا صلح دينها صلح أمرها كله، فأنا أرىٰ بأن المرأة الداعية إلىٰ الله شأنها شأن الطبيبة، حيث أنها تعالج وتطبب أمور أسرية تصعب علىٰ أقرب المقربين من الأهل معالجتها، وقد يفشل في معالجتها الزوج نفسه. فالمجتمع بحاجة إلىٰ فهم دقيق إلىٰ أهمية عمل الداعية إلىٰ الله، وتقدير ظروفها بأنها تقوم بعمل أمّة بحالها، وتقوم بإصلاحيات ثمينة قد لا ينتبه إليها المجتمع، فلأنها تسعىٰ بالاعتناء ببيتها وأسرتها، وأيضاً تسير بخطىٰ إيمانية ثابتة فتواجه ما تواجه من عقبات ولا يزيدها ذلك إِلَّا صبرا وورعا وتقدُّم.

نسأل الله تعالىٰ لأخواتنا الداعيات إلىٰ الله أن يتقبل الله منهن أعمالهن الخالصة لوجهه الكريم، ويجعل لهن نورا وأمانا في كل اتجاه.

التمهيد

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه حَمْدَ عبد مخبت أواه منيب فقير إلىٰ هدايته وتوفيقه وعونه علىٰ ما تفضل به وأكرم وأنعم، والصّلاة والسَّلام علىٰ سيدنا محمَّد، أشرف الأنبياء والمرسلين، ومن أرسله الله حياة للعرب ورحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه والداعين بدعوته إلىٰ يوم الدين.

اللَّهمّ وجهني لوجهتك الكريمة واجعلني والمسلمين من دعاتك المخلصين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

اللَّهمّ أرني الحق حقاً وارزقني إتباعه وأرني الباطل باطلاً، وارزقني اجتنابه.

(إن الله عزَّ وجلّ خلق الإنسان في أحسن تقويم وجعل له العقل وأرسل الرسل لإرشاده في حالة ما انحرفت نفسه عن الخير وقد ذكر الله تعالىٰ في كتابه الكريم ذلك عن امرأة العزيز. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣].

وبين له طريق الخير وطريق الشر، طريق الهداية وطريق الضلال، وجعل له الاختيار، وكرم الله عزَّ وجلّ الإنسان بالهداية ليكون مستقره بعد مماته في جنة الله مع الملائكة والمرسلين وعباد الله الصالحين، وليكون في الدنيا سعيداً بمعرفة الله والقرب منه وعبادته قال تعالىٰ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والعبادة هي معرفة ومحبة وقرب من الله ومن تكريم الله لعباده، بأن أرسل لهم سيدنا محمَّد ﷺ، بأن بعثه للناس كافة، قال تعالىٰ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

فكانت مهمة الأنبياء التعليم والتزكية والحكمة، ولما كان العلم يدرك بالعقل، كان

غذاء العقل العلم الصحيح، والعلم علمان، علم وسيلته إلينا المحسوسات والقربة، وعلم لا يخضع للتجربة ولا يصل إلينا إلَّا عن طريق السماع بالخبر الصادق، وهذا هو علم الدين، فيفسر الدين ما جهله العقل، وخاصة ما يتعلق بالكون والحياة والإنسان وما وراء الحياة، وعلم الدين أبعد العقل الإنساني عن السخافات والأوهام والخرافات والأساطير التي تتسرب إليه في تفسير المغيبات.

فكانت الرسل تزود العقل بالعقيدة الصحيحة والتصور الرشيد عن الخالق، والكون والإنسان والحياة، وتخاطب العقل وتدعو العقول إلىٰ التفكير والبحث والتأمل، والرسل يهتمون بالنفس الإنسانية، رعايةً وتربيةً وتوجيهاً، لأن النفس لا تسمو ولا تتزكىٰ إلَّا بنور الرسالة الإلهية فيأتي الدين فيكمل هذه النفس ويقوي الوجدان فتسمو العواطف الإنسانية النبيلة، والأخلاق الفاضلة، والآداب الحميدة، وتتزكىٰ النفس بالإيمان فتطهر من النفاق والرذائل، وتخفف من الانفعالات السيئة والأهواء الفاسدة والميول الجامحة فتتوجه طاقات النفس نحو الخير والفضيلة والتقدم والارتقاء ويكون تحقيق الرغبة النفسية ضمن توازن معتدل مستقيم بين مصلحة الفرد والمجتمع والإنسانية، وعندما تتزكىٰ نفس الإنسان يتغلب المرء بها علىٰ اليأس والقنوط، والتردد والشك، ويعالج الإنسان من أمراضه النفسية كالحقد والكآبة والقلق واليأس والخوف والقنوط والتردد والحيرة... ويدفع الإيمان صاحبه ليكون حكيماً في كل شيء، موازناً بين متطلبات الروح والجسد والعقل، والدنيا والآخرة، فلا يطغىٰ جانب علىٰ جانب، وإن عقيدة رسل الله واحدة، وخُتمت الأديان برسالة بمحمد ﷺ، الذي أعزّ العرب ووحدهم بعد تمزقهم، واقتدىٰ بالرسول ﷺ صحابته ومن بعدهم التابعون والمصلحون، فحملوا الأمانة وبلّغوا الرسالة حتىٰ أصبح خمس سكان الأرض يدينون بالإسلام، وكان لابد من دعاة صادقين يكونون قدوة للشعوب وللناس، وللرد علىٰ شبهات أعداء الإسلام التي أثاروها حول الإسلام ومنها أن الإسلام ظلم المرأة ودعوة الإسلام في الحقيقة هي المنفذ الوحيد للمظلومين والمضطهدين في العالم.

إن الله عزَّ وجلّ جعل المرأة شقّاً للرجل، بل خلقها من نفس الرَّجل، مشاركةً له في كل شيء ربما يتناسب مع تكونها وفطرتها، ورسالتها التي خلقت من أجلها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١][1].

(والمرأة هي المنطلق للنمو الاجتماعي والإنسان الحضاري منها تبدأ الخلية الاجتماعية الأولىٰ، والمؤسسة الأصل في بناء المجتمعات والأمم والحضارات، وهي الأسرة وكلما بقيت هذه الخلية سليمة ظل المجتمع معافىٰ.

ولهذا فإن الحديث عن المرأة والأسرة أمر في غاية الأهمية، وفي غاية الخطورة في الوقت ذاته، لأنه يعني الحديث عن المجتمع كله، عن حاضره ومستقبله عن قيمه وحضارته، عن صغيره وكبيره، عن ذكوره وإناثه، وعن تقدمه وتأخره. فالمرأة هي المحرك والفاعل الهام في السلوك والآداب التي تسود المجتمعات ويتعامل من خلالها النَّاس)[2].

وقد خص رسول الله ﷺ النساء بقسط وافر من خطبته الجامعة التي خطب بها النَّاس في عرفات يوم الحج، التي بدأها بعد أن حمد الله وأثنىٰ عليه بقوله ﷺ: «يا أيها النَّاس، اسمعوا قولي، لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا...».

وذكر أمورا جامعة مهمة، ثم قال: «استوصوا بالنساء خيرا، فإنهم عوان عندكم...» إلىٰ آخر الخطبة[3].

---

(١) راجع كتاب الدعوة والجهاد، د. إبراهيم العسل، د. بسام الصباغ، ص٥، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧، دار بيروت المحروسة للطباعة والنشر.

(٢) المرأة الداعية والأسرة المسلمة، الكاتب محمَّد حسن بريغش، ص٦-٨، مؤسسة الرسالة للطبع والتوزيع، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، بيروت، لبنان.

(٣) أخرجه النسائي في سننه، كتاب عشرة النساء، باب كيف الضرب، الرقم:٩١٦٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م، مراجعة: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروري حسن. والترمذي في سننه، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج علىٰ المرأة، ١٩٤/٣، الرقم: ١١٦٣، دار إحياء التراث العربي بيروت، ت: محمَّد فؤاد عبد الباقي، ط:١٩٧٥. وابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب حق المرأة علىٰ زوجها، الرقم:١٨٥١، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٥م

وانظر البداية والنهاية، ابن كثير (الحافظ أبو الفداء)، ٥١٧٠-٥١٧١، مكتبة المعارف، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.

سيرة ابن هشام: ٣٠٦/٢.

=

وكذلك حذر رسول الله ﷺ من فتنة النساء، لأن أثر هذه الفتنة سوف يدمر المجتمع كله فقال: «اتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء»[1].

ويقول أيضاً «ما تركت بعدي في النَّاس فتنة أضر علىٰ الرجال من النساء» [2].

والمجتمع الإسلامي هو المجتمع الذي نعم بالطمأنينة والسَّلام، حين كان يتمسك بشرع الله عزَّ وجلّ، ولهذا كان يضع المرأة موضعها يحافظ عليها ويصونها ويستفيد من طاقاتها ومواهبها، والمجتمع بحاجة اليوم إلىٰ المرأة الصالحة أماً، وزوجةً، وبنتاً، وأختاً،

السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمَّد أبو شهبة، ٢/٥٧٣-٥٧٤.

والخطبة عن سليمان بن عمرو بن الأحوص، قال: حدثني أبي أن رسول الله ﷺ قال: «استوصوا بالنساء خيرا، فإنما هن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك، إلَّا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن منهن شيئا غير ذلك، إلَّا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن، فاهجروهن، في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح، فإن أطعنكم، فلا تبغوا عليهن سبيلا، إلَّا أن لكم في نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حق، فأما ما حقكم علىٰ نسائكم، فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم: أن تحسنوا إليهم في كسوتهن وطعامهن».

(١) أخرجه مسلم والنسائي، وأوله «إن الدنيا حلوة وخضرة...» عن أبي سعيد الخدري عن النَّبيّ ﷺ قال: «الدنيا خضرة حلوة، وأن الله مستخلفكم فيها، لينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء». النسائي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، دار إحياء التراث العربي بدون، قال ابن الأثير في النهاية (ج٢/٤١): أي غضة، ناعمة، طرية، أخرجه مسلم في صحيحه: الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء (رقم ٩٩)، (مسلم الصحيح/ أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بدون، ١٩٥٤م. (وابن ماجه)، ابن ماجه، أبو عبد الله محمَّد بن يزيد، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٥م، (وأخرجه أحمد في مسنده، ٣/٧، ١٩، ٢٢).

المسند، الإمام أحمد بن حنبل، تعليق: عبد الله محمَّد الدروبي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩١م.

والبيهقي في السنن الكبرىٰ، (٧/٩١)، أبو بكر أحمد بن الحسين، دار المعرفة، بيروت.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء (باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار)

صحيح مسلم، لأبو الحين، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٤م.

وأخرجه البخاري في صحيح، النكاح، باب ما يتقىٰ من الشؤم المرأة (رقم ٥٠٩٦).

ومسلم في صحيحه الرقائق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة (رقم ٩٧، ٩٨)، والترمذي في سننه، الأدب، باب ما جاء في تحذير فتنة النساء (رقم ٢٧٨٠) وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

بحاجة إلىٰ المرأة الداعية التي تقوم بواجبها في الحياة، وتنهض بالمجتمع وتصون الأمة، وتحافظ علىٰ الأسرة محافظتها علىٰ الحياة، وهي التي تصحح مسار الحياة بمراقبة الأبناء والبنات وتوجيههم ورعايتهم.

وإن الاهتمام بالمرأة لا يقلل من مسؤولية الرَّجل ولا يضع عنه شيئاً من واجباته نحو الأسرة أو المجتمع ولا يعفيه من حمل الأمانة في الأسرة والمجتمع، وصاحب القوامة وقيادة الأمور، ولكنه بدون المرأة، لا يستطيع الوصول إلىٰ ما يريد، فالنساء شقائق الرجال، وهنّ اللواتي يصلح عن طريقهن المجتمع وتنشأ الأجيال الصالحة وتحفظ الأخلاق والقيم، وهنّ أيضاً، وعن طريقهن إن فسدت يتعاظم الفساد في المجتمع، وتتفكك أواصر الأسرة، وتنهار الأخلاق والقيم.

(ولعل تكريم المرأة أهم ما دعا إليه الإسلام لإصلاح الأسرة التي كانت تتخبط في الظلام، ليس في جزيرة العرب وحدها بل في العالم قاطبة آنذاك، فقد اعترف الإسلام للمرأة بجميع حقوقها المدنية والمالية والإنسانية.

وهكذا جعل الله - عزَّ وجلّ- المرأة منطلق النمو والتوالد والتكاثر، وعندما كان المجتمع العربي الجاهلي القديم يقوم علىٰ العصبية القبلية والتمييز بين الذكور في معظم القبائل فإنهم يئدون البنات خشية الفقر والخوف من السبي والعار)[1].

ومن ثم جاء الإسلام بتحريم وأد البنات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النحل: ٥٨ - ٥٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾ [التكوير: ٨ - ٩].

وقوله تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد النويري، ج٣، ص١٢٦، (النويري) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، المؤسسة المصرية العامة، وزارة الثقافة.

دار الكتب العلمية، دار النشر بيروت: لبنان، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، ط١.

﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: ٣١].

(وكذلك كانت المرأة محرومة من حق الميراث، حيث كان لا يعطىٰ إلَّا للرجال الذين يقاتلون علىٰ ظهور الخيل[١]). (ولم يكن لدىٰ العرب نظام للزواج ولا قانون للطلاق، فيتزوج الرَّجل منهم ما يشاء من النساء ويطلق ما يشاء. ومن ذلك تظهر منزلة المرأة العربية عند الرَّجل كانت منزلة متعة يستأثر بها حفظا للحياة والخدمة)[٢].

وقد بقيت المرأة علىٰ هذه الحال حتىٰ جاء الإسلام، فأنزلها المنزلة اللائقة بها، وأمر الإسلام بمعاشرة الزوجات بالمعروف.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٢٠].

وأوصىٰ النَّبيّ ﷺ بالمرأة خيرا فقال: «واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا»[٣].

والله سبحانه وتعالىٰ خلق المرأة يوم خلق آدم، لكنها كانت منه وبعده قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]. وأكرمها كما أكرمه، سواء بسواء، والله تعالىٰ شرع لها

---

(١) جامع البيان عن تأويل أي القرآن (تفسير الطبري) محمَّد بن جرير، أبو جعفر، دار الفكر، ١٩٨٨م، ج٧، ص٥٩٧ وما بعدها.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج٥، ص٥٤٨، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٠.

(٣) صحيح الإمام البخاري (المسمىٰ، الجامع المسند الصحيح المختصر، من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) للإمام الحافظ، أبي عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري المتوفىٰ سنة ٢٥٦هـ -رحمه الله- قام علىٰ نشره علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري -المجلد الثالث- شركة القدس للنشر والتوزيع، رقم الحديث (٥١٨٦)، ص٥٢٠، باب الوصاية بالنساء.

حقوقاً تتضمن الكرامة والحياة السعيدة، وليس كالإسلام منهج أعطىٰ للمرأة من الحقوق والحفظ عليها كل أنواع كرامتها وتكريمها، وليس كمثله نظام أو منهج ألزم المرأة بالواجبات التي تستقيم معها الحياة الإنسانية في أكرم صورها وأرضاها الله تعالىٰ، فكان ذلك شرفاً لها وتشريفاً.

وإذا حاولنا الرجوع إلىٰ العصور الخوال، وجدنا أغلب الأمم، إن لم تكن كلها، تعتبر المرأة كأنها متاع تباع وتشترىٰ لا قيمة لها، ففي (كتاب قصة الحضارة)[1]. مثلا نجد قصصا عجيبة وغريبة عن التعامل مع المرأة حتىٰ وصل ببعض الرجال إلىٰ بيع زوجاتهم وأولادهم.

(أما في شبه الجزيرة العربية التي كانت تنظر إلىٰ المرأة بأنها معززة ذات مكانة رفيعة[2]). (حسب اختلاف القبائل أو النسب الذي ترتبط به، لها الحق في إبداء رأيها معتدة بنفسها حريصة علىٰ صيانة سمعتها وسمعة الأسرة والقبيلة، ومن أمثال تلك النساء السيدة خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها- التي كانت تدعىٰ الطاهرة سيدة نساء قريش، وفي المقابل نجد المرأة في بعض الأماكن مسلوبة الحقوق في مجتمع كافر جاهلي لا يمنحها أدنىٰ الحقوق، مثل وأد البنات[3]). (وكان الرَّجل في الجاهلية يتزوج العدد الكثير من النساء بالإضافة إلىٰ أنواع من الأنكحة الفاسدة المضرة للمرأة مثل الاستبضاع[4]

والمقت والشغار والبدل[5]. وغيرها وهذه الأنكحة الفاسدة حرمها الإسلام وأبقىٰ علىٰ

---

(١) قصة الحضارة، قصة ول ديورانت، ترجمة: د. محمَّد بدران ود. زكي نجيب محمود، ج٣، ص١٧٧، ج٧، ص١١٥، دار الجيل، بيروت.

(٢) مكة في عصرها قبل الإسلام، أحمد أبو الفضل، ص١٤٠.

(٣) راجع كتاب من نساء صنعن التاريخ في العهد النبوي د. كريمة عبود، ص٩-١٠، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩، دار قتيبة للنشر والتوزيع، دمشق: سوريا.

(٤) يبعث الرجل زوجته إلىٰ رجل آخر عندما تطهر من الطمث ويقول لها استبضعي من فلان ويعتزلها حتىٰ يتبين حملها.

(٥) المقت: أن يتزوج الولد زوجة أبيه بعد وفاة أبيه عنها، الشغار: هو أن يزوج الرجل ابنته لرجل، فيزوج هذا له ابنته ليس بينهما صداق.

البدل: تبادل زوجين زوجتيهما بدون طلاق و عقد جديد.

البخاري، الصحيح، كتاب النكاح، باب الشغار رقم (٥١١٢)، ومسلم الصحيح، النكاح، باب تحريم الشغار (١٤١٥).

النوع الذي يشتمل علىٰ العقد الشرعي ومهر وشهود، ولا ننسىٰ أن ننوه هنا، أن أنكحة أجداد النَّبيّ ﷺ وأبنائه وبناته وأقاربه كانت علىٰ طريقة النكاح الصحيح الذي أقره الإسلام)[1].

فقد قال ﷺ: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلىٰ أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء»[2].

وأيضاً من ألوان المهانة التي كانت تتعرض لها المرأة المظاهرة، وهي أقسىٰ وأعنف من الطلاق فإذا غضب الرَّجل علىٰ زوجته ظاهر منها فقال لها: أنت علي كظهر أمي، أي طلاق لا رجعة فيه، وفراق لا وصال بعده، وأسرة تتفكك وأطفال تتشرد وغير ذلك من ألوان الظلم والتعسف.

وقد منّ الله علىٰ الإنسانية بأن اصطفىٰ لها محمدا ﷺ، وأنزل عليه أتم منهج وأكمل نظام، يوم أوحىٰ إليه هذا الدين الخاتم العظيم المكمل المتمم لكل دين سبقه، المهيمن علىٰ كل دين سواه، الناسخ لسائر الشرائع التي سبقته.

وهو المنهج الذي لا يساويه ولا يضاهيه منهج أو نظام.

إنه لشأن عظيم وتكريم كبير لأنه خاتم الأنبياء عليه الصّلاة والسَّلام، ويخطئ من يظن أن المنهج خاص بالرجال دون النساء، أو أن للرجال منه نصيباً أوفىٰ من نصيب النساء، فإن الله تبارك ساوىٰ بين الرَّجل والمرأة في التكاليف والواجبات، كما ساوىٰ بينهما في الحقوق والامتيازات، اللَّهمّ إلَّا ما يترتب علىٰ اختلاف الطبيعة أو الوضع الاجتماعي بينهما.

فالمسلمون، وهم الذين اتبعوا رسول الله ﷺ مأمورون بالدعوة إلىٰ الله، لأن ذلك دليل خيرية هذه الأمة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ

---

(١) راجع كتاب، حقوق المرأة في الإسلام، د. جميلة عبد القادر الرفاعي د. محمَّد رامز عبد الفتاح العربدي، ص٤٧، ٤٠٨، ط١، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان: الأردن.

(٢) الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي، ١/٤١٢ الرقم: ٢٦٨٢، دار الفكر للنشر، بيروت، ٩١١هـ-٨٤٩م.

﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[آل عمران: ١١٠].

(ووجوب الدعوة إلىٰ الإسلام: دعوة النَّاس إلىٰ الإسلام، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، واجب إسلامي يجدر بالعاملين في الحقل الإسلامي أن ينهضوا به ويبولوه حقه من جهدهم وتفكيرهم ووقتهم. بل إن هذا الواجب بالذات هو المهمة الأصيلة الأساسية لكل داعية...

والقرآن الكريم حض علىٰ القيام بهذا الواجب في العديد من آياته، منها قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].)[1].

(فالدعوة إلىٰ الله عزَّ وجلّ فريضة علىٰ المسلمين إن لم يقوموا بها أثموا وعصوا، وإن قام بها بعضهم ربما يكفي حاجة الأمة، نجو من الإثم والمعصية في هذا الواجب)[2].

وادعوا الله تبارك وتعالىٰ، أن يعين المرأة المسلمة أن تتعرف من خلاله علىٰ مكانتها ومكانة غيرها، وأن يبصرها بحقوقها ويعينها علىٰ أداء واجباتها، وأن يرسم لها طريق الدعوة إلىٰ الله، وأن يبين أنشطتها من أجل الدعوة في بيتها، وفي قريباتها، وصديقاتها، وجاراتها، وفي المسجد وفي المجتمع الذي تعيش فيه، وفي المدرسة أو الجامعة التي تتعلم فيها، وفي العمل المناسب للمسلمة الذي تقوم به في المجتمع إذا كانت في حاجة إلىٰ العمل.

وعلىٰ الله قصد السبيل، وإن أريد إِلَّا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إِلَّا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

---

(١) كيف ندعو إلىٰ الإسلام؟ د. فتحي يكن، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، دمشق -سوريا، بيروت - لبنان.

(٢) المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلىٰ الله، د. علي عبد الحليم محمود، ط٥، (١٤٢٤-٢٠٠٣ن)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ج.م.ع. المنصورة.

الإسلام هو منهج الأمان

بِسْمِ الله الرَّحْمٰنِ الرَّحيم، وبه نستعين إنه نعم المعين.

اقتضت حكمة الله أن يعمر هذا الكون بمخلوقاته التي لا نستطيع لها حصرا ولا عدا، ثم اقتضت أن يكون الإنسان سيد هذه المخلوقات وأكرمها، ومن أن يستمر عمار الكون «خلق الذكر والأنثىٰ»، وسن الزواج بينهما.

وقد وضع الإسلام قواعد وقوانين تنضبط بها علاقة الرَّجل بزوجته، وعلاقة الزوجة بزوجها، هذه القواعد والقوانين والمبادئ أعلنها الإسلام صريحة واضحة في كتاب الله عزو وجل. وفي أحاديث رسول الله ﷺ، فمن سار وفقها وعلىٰ هديها سعد في الدارين وفاز في الدنيا والآخرة، ودخل جنات النعيم، وما دام المسلم يعلم أن الإسلام هو المنهج الذي يصلح لإخراج النَّاس مما هم فيه من الضيق والتخبط والأحقاد وامتهان كرامة الإنسان، والعمل ضد الفطرة وإشاعة الفساد ومناصرة المبطلين... الخ، إلىٰ حياة كريمة مطمئنة تنعم بالسلام، والعدل، والإخاء، والتعاون، وطاعة الله المنعم الكريم، والسعي لرفع الظلم والعنت عن النَّاس في كل مكان.

فإن الفئة الداعية التي تدرك هذا الواقع مدعوة للقيام بواجبها في الدعوة علىٰ هدي وبصيرة، بل مدعوة للتسليم بالعلم الصحيح لكي يغدو قيامها بأمر الدعوة مستوفيا لكل الشروط اللازمة لذلك.

وهذا شرف عظيم، لأنه إتباع لرسل الله جميعا، عليهم الصّلاة والسَّلام، وطاعة الله ورسوله محمَّد ﷺ، الذي كلف بالدعوة إلىٰ الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

وللداعية أجر عظيم عند الله حين يدعو إلىٰ الله ويعمل صالحا.

عن الحسن البصري[1] أن تلا هذه الآية: «ومن أحسن قولا...». فقال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلىٰ الله، أجاب الله في دعوته، ودعا النَّاس إلىٰ ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحا في إجابته، قال: إنني من المسلمين هذا خليفة الله.

(والحق أن يطبق الداعية ما آمن أنه الحق ويجب أن يجعل أعظم الجهد في التركيز علىٰ إصلاح نفسه ودعوة غيره، كما يجب أن يعيش دعوته في قلبه وعقله)[2].

---

(١) تفسير ابن كثير، جزء ٤) ص١٢٩، للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، مكتبة دار الفيحاء للنشر والتوزيع، دمشق، مكتبة دار السَّلام، الرياض.

(٢) فقه الدعوىٰ، طريق الدعوة، مصطفىٰ مشهور، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ص٣٢٥، لا يوجد رقم طبعة.